لمحات تاريخية عن الأدب النثري للأطفال عند السوريين
Historical Overviews of Children's Prose Literature for Syrians

*Mamoona Sadia

** Dr. Azra Parveen

Abstract

The importance of children's literature has increased in today's society. It's critical to a child's development of a positive outlook on life. Many writers from various cultures and languages have contributed to it. The main focus of this study is on Syrian authors' contributions to children's literature. This aims to critically examine children's literature in order to find out what makes it better than other works.

Keywords: Children, Syria, Literature, Critics

إن الأدب أساسا ينقسم إلى نوعين كبيرين؛ أحدهما: الأدب الشعري والآخر: الأدب النثري، ثم هذا الأدب بنمطيه له طبائع عديدة، فمنها طبيعة تتلاءم مع الأطفال، ومنها طبيعة تتوافق مع طبيعة الكبار، ومنها طبيعة تتسم مع طبيعة الذكور أو الإناث، ومنها طبيعة يعجبه الرجاء والنساء معا، وفي هذه الدراسة نتناول الأدب الذي يتلاءم مع الأطفال في مساره الخاص وقطره الأخص؛ بلد سوريا. قصة الأطفال وسيلة ثقافية ذات تربوية، إنها أداة ناجحة في إثراء خبرات الأطفال وزيادة معارفهم وتنمية مهاراتهم، وإكسابهم مواهب إيجابية، وتزويدهم بالمعلومات والحقائق عن الطبيعة والحياة، وتطلعهم على البيئات الاجتماعية والشعبية إضافة إلى ذلك تلك القصص تلعب دورا قويا في إثراء لغة الأطفال وترقية قدراتهم التعبيرية عن أفكارهم ومشاعرهم وأحساسيسهم واحتياجاتهم، هذه القصص تعلم الطفل طريقة ضبط الانفعالات والسيطرة عليها بغية تخفيف التوتر عنهم والتنفيس عن رغباتهم المكبوتة، ومعالجة بعض المشكلات النفسية والثقافية والشعبية والاجتماعية حتى بعض المعايب النطقية والكتابية لديهم.

والمختصر إن قصص الأطفال تكرس علاقات إيجابية وأنماطا سلوكية لدى الأطفال، وتعزّز الاتجاهات لديهم

* PhD Scholar, Department of Arabic, Bahauddin Zakariya University, Multan, Pakistan

*Associate Professor of Arabic, Bahauddin Zakariya University, Multan, Pakistan

بغية جعلهم قادرين على مواجهة المصاعب، وتحقق أهدافا ترفيهية تروِّح عن أنفسهم، وتوفِّر لديهم قسطا من المتعة والمؤانسة، وتقضي على الرتابة والحزن والكآبة، يقول هادي نعمان الهيتي: "يُلاحظ أن الأطفال شديدو التعلُّق بالقصص، وهم يستمعون إليها أو يقرؤونها بشغف، ويحلّقون في أجوائها، ويتجاوبون مع أبطالها، ويتشبَّعون بما فيها من أخيلة، ويتخطّون من خلالها أجوائهم الاعتيادية.. خصوصاً وأنها تقودهم بلطف ورقة وسحر إلى الاتجاه الذي تحمله. إضافة إلى أنها توفر لهم فرصاً للترفيه في نشاط ترويحي، وتشبع ميولهم إلى اللعب، لذا فهي ترضي مختلف المشاعر والأمزجة والمدارك والأخيلة، باعتبارها عملية مسرحة للحياة والأفكار والقيم".[1]قصص الأطفال تهدف بث الحيوية والنشاط والحركة في النفوس، هو عالم مليء بالأحلام والخيالات والوقائع والحوادث، فيه دوافع تحبب لدى الأولاد الاستكشاف والانبهار والوله والشوق للتعرف والاطلاع على المغامرات والبطولات، وقصص الأطفال لها خصائص وميزات تبلور للقارئ طبائع الأطفال وأمزجتها وعاداتها وأشواقها وعوالم انفعالاتها. يقول الكاتب نزار نجار: "القصة وسيلة تربوية ناجحة، وهي فنّ.. فنٌ لمّاح ذكي، يعتمد على الترميز والإضاءات الخاطفة وسرعة الالتقاط، ولذلك تفوَّقت القصة في أدب الأطفال على غيرها من الأجناس الأدبية.. والأطفال يتمتَّعون بميزة تذوّق الجمال، إنّ في داخلهم نداءً عميقاً يجذبهم نحو الجميل، كذلك لديهم توقٌ للتسامي والبطولة، وإلى المعرفة والمغامرة والانطلاق.. والقصة تُشبع هذا التوق، وتحقِّق ذلك الذوق.. القصة تجعل الأطفال قادرين على الاتصال بالفن، بفضل بساطة أسلوبها، وسحر أحداثها". [2]القصة عموما تتكون من العنصرين الكبيرين وهما: الشكل والمضمون، ومجموعة من العناصر المتآزرة، وقصة الأطفال لا تخرج عن هذا الإطار إلا أنها تتسم بالخصوصية في الكثير من جوانبها، وتتمثل تلك العناصر فيما يلي من النقاط: الفكرة، والحدث، والحبك، والشخصية، والحوار، والأسلوب، والبيئة الزمانية، والبيئة المكانية وما إلى ذلك.

من أشهر التجارب الأدبية في سوريا

ليس المقصود من هذا العرض السريع هو تقديم صورة مفصلة عن ذلك الأدب للأطفال في سوريا بل إنه محاولة لتقديم صورة شاملة في هذا المضمار وعرض أبرز المحطات في هذا المجال في ضوء المصادر الميسرة. ثمة ثلاثة انعطافات هامة لابد من التطلع إليها.

التجربة الأولى "مجلة الصرخة"

مجلة Hawar/الصرخة، قامت هذه المجلة بنشر الأدب للأطفال مبكرا، وهي التي كانت تحمل في طياتها مسؤولية تقديم الأدب الخالص والتوجه الثقافي الخالص للأطفال الكرد بلغتهم الأم.

والفضل في إقامة صرخ هذه المجلة الشامخة يرجع إلى النخبة المثقفة المهاجرة من شمال كردستان إلى سوريا، منذ بداية الثلاثينيات من القرن الماضي حتى الفترة اللاحقة مؤخرا، فنشطت بفضل تلك المجموعة

المختارة من الكاتبين المبدعين نشطت الحركة الثقافية والفكرية والفلسفية والأدبية. فخصصت صفحة للأطفال في مجلة هاوار ونشرت فيها المواد الأدبية بأشكالها العدة، وتلك الصفحة قد سميت بـ "ركن الأطفال"، وفي هذا المضمار سبقت هذه المجلة أخواتها الأخرى حيث لم تخصص فيها أية صفحة لأدب الأطفال ولم يكن من شغلها الأهم الاهتمام بالأطفال. وقد تناوب الكتابة فيها عدد من الكتاب والشعراء والقصاصين إلى جانب الأمير جلادت بدرخان، ومنهم ما يلي:

- أوصمان صبري
- بكري قوطرش
- مصطفى أحمد البوطي
- محمد أمين سليمان

ومما يجدر بالذكر ههنا هو أن السيد جلادت قام بإصدار كتاب لقواعد اللغة الكردية للأطفال بعنوان: "كتاب سينم خان". [3]

التجربة الثانية "صحيفة جگرخوين"

المنتجات الأدبية المبدعة لبعض الكتَّاب والمبدعين الذين أسهموا في الصحف والمجلات الكردية العديدة داخل الدولة وخارجها، ومن أهم تلك الصحف والمجلات هي صحيفة (Cegerxwîn/ جگرخوين). [4]

التجربة الثالثة "باكورة المرحلة الجديدة في الأدب السوري للأطفال":

ظهور تجارب أدبية عدة منذ تسعينات القرن العشرين، ظهرت في هذه الفترة الزمنية المحددة مجموعة بارزة من الأدباء المهتمين بأدب الأطفال، فأصدروا مجموعات نثرية وشعرية وقصصية، فقاموا في الوقت نفسه بنقل الأدب الرفيع إلى المرحلة الجديدة، وشكلوا نقطة انعطاف هامة بالنسبة له، ومن أولئك الأدباء: [5]

- عبد الرزاق أوسي
- د/محمد عبده النجاري

ومن الشعراء في تلك المجموعة الظاهرة:

- كوني ره ش
- فرهاد اجمو
- ريوي

هذه المرحلة تهتم بإصدارت موجهة للأطفال خصيصا، فبرزت بعض الأسماء في هذا المجال في إطار مبادرات شخصية تمثل ببعض الإصدارات القصصية والشعرية أيضا والتجارب الصحفية.ففي مجال القصة مثلا صدر كتيبان سنة واحدة وتسعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، تضمنا الحكايات الشعبية للكاتبين الهامين

الشهيرين: أحدهما: المهندس عبد الرزاق أوسي الذي قام بجمع هذه الحكايات، ود/محمد عبده النجاري الذي قام بترجمتها إلى العربية. حمل الإصدار الأول عنوان: "الديك الأبيض"، والإصدار الثاني عنوان: "حبة الرمان". ثم صدر لهذين الكاتبين ثلاث إصدارات بالمرة سنة خمس مائة بعد ألفين من الميلادي، إنها جاءت تتمة للسابقتين، وحمل الإصدار الثالث عنوان: "الذئب العجوز"، والرابع عنوان: "شنگي وپنگي"، والخامس عنوان: "القنديل السحري".وشاركهم بعض الكتَّاب الآخرين بإنتاجاتهم النثرية لأدب الأطفال، فرفدوا بها المكتبات العربية (الكردية) بإبداعاتهم وإنتاجاتهم، ومن أهمهم:

- المرحوم الشيخ توفيق الحسيني
- الكاتبة ديا جوان

محاولات أبرز الكتاب السوريين على المستوى الدولي:

ثمة محاولات جادة أخرى وهي نالت القبول الواسع على المستوى الدولي والعالمي في كتابة القصة للأطفال، فمنها بدأت كتابة القصة مع السيد نعمان قساطلي منذ سنة ثلاث وثمانين بعد ألف وثمان مائة من الميلادي، والسيد رزق الله حسون حتى الكاتب المبدع البارز شكيب الجابري حيث كتب قصة اسمها "نهم" سنة سبع وثلاثين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، وبعد هذا الإنتاج الغزير تكونت رابطة الكتَّاب السوريين سنة واحدة وخمسين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، وتوسعت تلك الرابطة سنة أربع وخمسين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، وكان من أبرز كُتّاب القصة وأكبرها على المستوى الدولي ما يلي:

- السيد عبد السلام العجيلي الذي صار ممثلا الواقعية الفنية
- السيدة حنا مينة
- السيد شوقي بغدادي

وهما اللذان كتبا في ضوء مقتضيات الواقعية الاشتراكية، ثم ظهرت مؤخرا قصص الاغتراب والذاتية، ومن أشهر كُتّاب هذا النوع من القصص ما يلي:

- السيد زكريا تامر
- السيد وليد إخلاصي
- السيد جورج سالم وغيرهم.

وكان الكثير من الكاتبين المهتمين بالكتابة للأطفال من المدارس الشخصية والأهلية والحكومية، وكان غرض الكتابة وفتذاك رفد مناهج دراسية ساعية إلى ترسيخ قيم تربوية مرتبطة بالقيم الروحية والوطنية، وغالبها تضمنت أسلوب الوعظ والنصيحة، ثم دخلت سوريا طور الزخم الوطني والقومي والشعبي مع أصحاب الفكر القومي الاشتراكي، فقامت سلطة نظام حكم مثلته دولة استمدت شرعيتها من الاتحاد السوفييتي على الصعيد

الدولي، فبدأت الكتابات الآن في ضوء الموضوعات التي تتوافق مع توجهات نظام الحكم السياسية المعبرة عن وجهات نظر الفئات المستجدة الحاملة في بطونها قيم الأرياف وارتباطاتها بعيدة عن تجارب مدنية متحضرة.

ومن الأمثلة اللائقة للعرض ههنا هي تجارب قامت بها وزارة التربية والتعليم في سوريا حيث قدمت كتاب القصص القصيرة المتميزة في المحتوى والمضمون والمغزى والملفوظ والنص الذي قام بإعداده السيد منير الخير سنة سبع وستين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، وهذا الكتاب تضمن خمس قصص مترجمة، إضافة إلى قصة معروفة بـ "شجرة الليمون الصغيرة"، ثم أعد السيد عادل زريق والسيد يوسف بنَّا نخبة من القصص الصغيرة المختارة سنة سبعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي للكُتَّاب المختارين السوريين.

الكاتب المبدع زكريا تامر

ظهر الكاتب المبدع زكريا تامر بعد هزيمة نكراء سنة سبع وستين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، والسمة البارزة في كتاباته هي الوعي الجديد ونشره في أرجاء البلد. وأولى القصص المنشورة له في العام الذي تم فيه طرده من الحزب الشيوعي سنة ست وخمسين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، ثم دخل ميدان الصحافة سنة ستين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي وأضحى مشتغلا بوزارة الثقافة السورية. صار تامر رئيس التحرير لمجلة "المعرفة" وصار كذلك نائبا لرئاسة اتحاد الكتاب العرب بين سنة ثلاث وسبعين بعد ألف وتسع مائة وسنة خمس وسبعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، تأثر تامر بقراءاته العدة لـ سارتر وكافكا وكامو. وكذلك كان رئيس التحرير لمجلة "أسامة" التي صدر عددها الأول في فبراير/شباط سنة تسع وستين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، ثم تبعه السيد عادل أبو شنب، وهذان الكاتبان العزيزان تمكنا من دفع القصص الخاصة بالأطفال نحو النهوض والنضوج والكمال. [6]ظهرت المستجدات ذات الاهتمامات العدة في كتابات زكريا تامر، فخرج عن القصة التقليدية السائدة، وحاول تقديم قصص جميلة شيقة للأطفال حاملة في أوصالها من الآفاق ذات التوقعات المعهودة، [7] إنه حاول تعليم الأطفال الحرية التامة ومواجهة التحديات المستبدة وقمعها من أصولها بأسلوب مناسب للذكور والإناث، وتعليمهم الوعي التام بحقوقهم كإنسان وبشر.كان زكريا تامر من أبرز الكتاب السوريين وأكبرهم وأهمهم وأكثرها إخلاصا ووفاء لجنس القصة القصيرة للأطفال من خلال بث القيم الإنسانية والقومية ذات الأساليب الفنية العصرية واللغة العربية البديعة.كان تامر يعد الكتابة الرديئة للأطفال من أكبر الجرائم، لأن الكتابة السيئة تظهر آثارها السلبية في شخصية الطفل حينما يكبر، وهذا الاستفتاء صنفته مجلة "الموقف الأدبي" في إحدى أعداده. [8]

من أهم أعماله القصصية للأطفال

- لماذا سكت النّهر، كتبها سنة ثلاث وسبعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي.

- قالت الوردة للسنونو، كتبها سنة سبع وسبعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي.
- بلاد الأرانب، كتبها سنة تسع وسبعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي.
- يوم بلا مدرسة
- الطفل
- المطر
- بيت للورقة البيضاء
- ومنذ سنة واحدة وثمانين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي بدأ يعيش في لندن، وعمل بالصحافة وقام بنشر قصصه في صحيفة "الناقد"، اللندنية بعنوان: "قال الملك لوزيره"، وفي مجلة "الدوحة" بدأ ينشر كتاباته الخاصة بالأطفال تحت عنوان: "خواطر تسرّ الخاطر". وقد قال تامر عن نفسه: "أنا أعشق القصة القصيرة عشقًا لن يزول بسهولة، فجذوره متغلغلة في شراييني". [9]

الكاتبتان دلال حاتم ولينا كيلاني:

ظهرت تجارب الكاتبة دلال متعاونة مع الكاتب سعد الله ونوس الذي كان رئيس التحرير لمجلة "أسامة" وقتئذ. وكذلك ظهرت تجارب الكاتبة لينا، هاتان الكاتبتان المبدعتان قامتا بترجمة القصص الأجنبية للأطفال ثم بدأتا تكتبان باللغة العربية الفصيحة البديعة. وأول قصة تم نشرها على ثلاث أدوار في مجلة "أسامة" بعنوان: "الغريب". [10]

مرحلة فرنسيس مراش ونعمان قساطلي:

ثمة مراحل أخرى للأدب القصصي، ومنها ما ظهر بظهور الأعمال القصصية لفرنسيس مراش، ثم يليه نشر القصص لنعما قساطلي تحت أسماء آتية:

- مرشد وفتنة
- الفتاة الأمينة وأمها
- أنيس وأنيسة

وهذه المرحلة لصاحبيها: فرنسيس مراش ونعمان القساطلي تسمى بالمرحلة الأولى للأدب القصصي في سوريا.

مرحلة شكري العسلي:

شرعت القصة السورية تتطور رويدا رويدا بداية مع مطلع القرن العشرين على أيدي شكري العسلي، وهو أول من قام بكتابة القصة المسماة بـ "نتائج الإهمال"، إضافة إلى روايته المسماة بـ "فجائع البائسين" الصادرة سنة سبع بعد ألف وتسع مائة من الميلادي في مجلة "المقتبس" النيرة.

ثمة روائي آخر اسمه: ميخائيل صقال من قام بكتابة القصة الشيقة المسماة بـ "لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر".وهذا التطور دفع الناس إلى القراءات العدة للقصص والروايات المكتوبة والمؤلفة بالعربية العامية والفصحى في سوريا في تلك الفترة من الزمن وبخاصة الروايات الجديدة المترجمة التي قام بها الأدباء المختارون أمثال: رزق الله حسون، ومحمد كرد علي وغيرهما.

دور الصحافة والاحتكاك الثقافي والنضج الأدبي في ولادة القصة السورية وتطويرها في فترة ما بين الحربين:

الأمر الأول: الصحافة، تنوع هذا المجال وتعددت جوانبه، فاتخذه الناس مصدرا أساسيا للإغراء الأدبي.

الأمر الثاني: الاحتكاك الثقافي وهو تطلع الأمة السورية والأجيال الصاعدة فيها على الأدب العالمي من خلال تطلعهم على الثقافة العالمية ولاسيما من أجل ارتباط سوريا مباشرة بالثقافة الفرنسية بعد الانتداب الفرنسي لها.

الأمر الثالث: كانت على سوريا على صلة وطيدة بالدول العربية الأخرى مثل: مصر وغيرها، فتأثرت سوريا بالنضج الأدبي الذي برز بكل النهضة في مصر على أيدي الدكتور محمد حسين هيكل في قصته الشهيرة المسماة بـ "زينب" سنة أربع عشرة بعد ألف وتسع مائة من الميلادي إضافة إلى تأثرها بأعمال أدبية أخرى للأدباء الآخرين أمثال: محمد تيمور، ومحمود تيمور، وتوفيق الحكيم وغيرهم. [11] وكذلك وقف في صفهم الأدباء والقصصيون اللبنانيون أمثال: سليم البستاني، وفرح أنطوان، ونقولا حداد، ويعقوب صؤوف، وجبران خليل جبران وغيرها. هؤلاء الرواد القصصيون أثاروا بشكل لصيق في سوريين حب الأدب القصصي. [12]

المرحلة الروائية السورية:

هذه المرحلة تشتمل أساسا على المراحل الآتية:

الروائي معروف الأرناؤوط:

وأول من ظهر من الروائيين السوريين الرائدين هو معروف الأرناؤوط، إنه برز بصفته أول روائي سوري أو كاتب للرواية، فقام بإصدار مجموعة شيقة من إنتاجاته الروائية التاريخية الشهيرة مثل: الرواية المسماة بـ "سيد قريش" عام تسع وعشرين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، وكانت لهذه الرواية ثلاثة أجزاء، والرواية الثانية المسماة بـ "عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – " عام تسع وثلاثين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، وكان للرواية جزاءان، والرواية الثالثة المسماة بـ "طارق بن زياد – رحمه الله – " عام واحد وأربعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي، والرواية الرابعة المسماة بـ "فاطمة الباتول – رضي الله عنها – عام اثنين وأربعين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي.

الروائي شكيب الجابري:

هذا الكاتب المبدع السوري أصدر له روايات أربعة على التوالي، وهي:

الرواية المسماة بـ "لهم" عام سبع وثلاثين بعد ألف وواحد من الميلادي.

الرواية المسماة بـ "قدر يلهو" عام تسع وثلاثين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي.

الرواية المسماة بـ "وداعا يا آفاميا" عام واحد وستين بعد ألف وتسع مائة من الميلادي.

الخاتمة

هذه الورقة تشتمل على النتائج الآتية:

1) تعتبر القصة من أهم الوسائل التربوية.
2) القصص السورية بالذات تستطيع أن تغرس في نفوس الأطفال السوريين القيم الإيجابية وتصفي قلوبهم من القيم السلبية.
3) القصص السورية لها قدرة وفعالية في إثراء الحيوية والفعالية في المواطنين.
4) قلما توجد قصة تماثل في حوارها وسردها القصة السورية المكتوبة للأطفال حوارا وسردا ومادة ومحتوى.
5) القصص السورية لها دور قويم في تنشئة الأولاد والأطفال.
6) تمثل القصص السورية أحداثا ذات عبر فيها دروس للأطفال.
7) إن القصص السورية لقوتها وبراعتها مغزى وأسلوبا تجمع إلى إمتاع الوجدان تغذية الفكر.
8) الأسلوب الأنفع لقصص الأطفال هو ما يميل إلى الجمل القصار، والفقرات المتقابلة، وعدم تعمد المحسنات إلا ما يأتي طبعا بين الحين والحين، وهذا ما تمتاز به القصة السورية.

References

[1]Mustfa, al-Juwanī, Haoul Adab al-Atfāl (Cairo: al-Maʿārif, 1986), 23
[2]Mujalla al-Jundī al-Muslim, 2005, Vol. 120.
[3]Nazar al-Labdi, Adab al-Tafoola Waqe wa Tatlʿāt, Empirical and Theoretical Study (Al-Ain: Dār alkitāb Aljamee. 2001)
[4]Hasan Al Shahata, Adab al-Tifl al-Arabi Dirāsāt wa Bahooth (Cairo :Dar al Misryyia , 1994), 2: 45.
[5] Izzu Din Ismail, Al Sheʿr al- Arabi al Muʿāsir (Cairo: Makatab al-Akadimiyya, 2010), 45.
[6]Al-Adab al-Arabi fi al-Asr al-Hadīth, 123. (Dated: June 8, 2020). www.marefa.org
[7]Al-Adab al-Arabi fi al-Asr al-Hadīth, 45.
[8]Taʿima Rushdī, Al Adab ul Atfaal fi al Marhal ti al Ibtidaia (Cairo: Al-Fikr al-Arabī, 2001), 46.
[9]Al-Adab al-Arabi fi al-Asr al-Hadīth, 32.
[10]Taʿima Rushdī, Al Adab ul Atfaal fi al Marhal ti al Ibtidaia, 11.
[11]Saeed Mehmood Shakir, Asāsyyāt fi Adab al-Atfal (Riyadh: Dar al- Merāj, 1993), 11 .
[12]Abu al Maʿāl Abd al-Fattāh, Adab al-Atfāl: Dirāsa wa tatbeeq (Omman: Dār al-Sharq, 1988), 13.